جينتشنغ، بطاقة اسم المدينة التي تركها تشوغه ليانغ لتشنغدو

ترك تشوغه ليانغ لتشنغدو بطاقة اسم مدينة لامعة، وهي "جينتشنغ"، اختصار لـ"جينغوانتشنغ".

تتميز سهل تشنغدو بالتربة الخصبة والمناخ المعتدل، ومع الري الوفير من نظام دوجيانغيان للري، فهو مناسب بشكل مثالي لزراعة التوت وتربية دود القز. لذلك، كانت حرفة نسج البروكار باستخدام الحرير شائعة جدًا بالفعل في عهد أسرة هان. مذكرة تشوغه ليانغ إلى الحاكم اللاحق قبل وفاته، التي ذكر فيها أن منزله في تشنغدو كان به "ثمانمائة شجرة توت"، هي أفضل دليل على انتشار زراعة التوت وتربية دود القز في المنطقة. ومع ذلك، كانت صناعة البروكار في تشنغدو في عهد أسرة هان في الغالب إنتاجًا فرديًا متفرقًا، يفتقر إلى الحجم ويعاني من عدم اتساق جودة المنتج. تغير الوضع بشكل كبير عندما وصل تشوغه ليانغ إلى السلطة.

أشار معلمي، الباحث المعاصر الشهير في الأدب والتاريخ، السيد مياو يويه، في وقت مبكر من عام 1962 في مقاله "إنشاء مسؤولي البروكار في تشنغدو بدأ في عهد شو هان": "وفقًا للسجلات التاريخية مثل هويانغ غو تشي لتشانغ تشو من أسرة جين الشرقية، وإي تشو جي لي ييننغ من أسرة ليانغ الجنوبية كما ورد في تشو شيوي جي من أسرة تانغ، خلال حكم تشوغه ليانغ لشو، قام أولاً ببناء مدينة مسؤولي البروكار على الجانب الغربي من الطريق جنوب جسر ييلي في جنوب تشنغدو، لتركيز صناعة نسج البروكار، وفي نفس الوقت أقام 'مسؤولي البروكار' هناك ليكونوا مسؤولين بشكل خاص عن إدارة صناعة نسج البروكار." (انظر المجلد 7 من الأعمال الكاملة لمياو يويه، مطبعة التعليم في خبي، يوليو 2004).

صورة مقدمة من متحف معبد ووهو في تشنغدو

هذه المنطقة الكبيرة، التي تركزت فيها صناعة نسج البروكار، كانت تسمى "جين غوان تشنغ" أو "جين لي" لأنها كانت محاطة بأسوار المدينة للحماية. لاحقًا، تم اختصار "جين غوان تشنغ" إلى "جين تشنغ" وأصبح مرادفًا جميلاً لتشنغدو.

تشتهر تشنغدو أيضًا باسم مدينة جينغوان، وتعتبر أقدم منطقة عرض صناعية وطنية لصناعة النسيج في التاريخ الصيني. حقق التحول الصناعي الجماعي الذي قاده تشوغه ليانغ شخصيًا نجاحًا كبيرًا. في ذلك الوقت، لم يكن لدى سون وو في جيانغدونغ إلى الشرق ولا تساو وي في السهول الوسطى إلى الشمال أقمشة حريرية رائعة ودقيقة مثل بروكار شو. كان بروكار شو الجميل والمشرق سلعة فاخرة تطمح إليها الطبقات العليا في وو وي، وخاصة الملوك ونساء بلاطهم. وبالتالي، تم تصدير منتجات بروكار شو الحصرية باستمرار عبر قنوات مختلفة، بما في ذلك مباشرة إلى حليفتها سون وو، ومن خلال سون وو إلى عدوها تساو وي. لذلك، يسجل "دان يانغ جي" لشان تشيانتشي من أسرة ليو سونغ في السلالات الجنوبية: "لم يكن لدى جيانغدونغ بروكار من قبل، لكن تشنغدو كانت مشهورة وحدها بجودتها الممتازة. لذلك، خلال فترة الممالك الثلاث، تاجرت وي مع شو، واعتمدت وو أيضًا على الطريق الغربي."

استخدم تشوغه ليانغ الثروة الهائلة التي كسبها من الصادرات لدعم النفقات العسكرية والوطنية والتنمية الاقتصادية لشو هان. يسجل نص "تاي بينغ يو لان" من أسرة سونغ الشمالية كلمات تشوغه ليانغ الخاصة: "الموارد اللازمة لهزيمة العدو تعتمد فقط على البروكار." وهذا يعني أن المصدر الاقتصادي للمعركة الحاسمة ضد تساو وي في الشمال اعتمد بشكل أساسي على الدخل الناتج عن صناعة نسج البروكار.

إعادة تنظيم تشوغه ليانغ لبروكار شو في مجموعة لم تخلق فقط صناعة أساسية لمنطقة تشنغدو لتزدهر لفترة طويلة، والتي استمرت حتى يومنا هذا، بل تركت أيضًا لتشنغدو بطاقة اسم مدينة لامعة ومشرقة، وهي "جينتشنغ" (مدينة البروكار)، من الناحية الثقافية.

كما هو معروف، كانت الأقمشة الحريرية ذات يوم منتجًا فاخرًا ومتقنًا فريدًا للصين. أدى تصدير الأقمشة الحريرية إلى "طريق الحرير" الشهير عالميًا. وبالمثل، اكتسب بروكار شو اسمه الشهير، "جينتشنغ" (مدينة البروكار)، في المقام الأول بسبب تصديره على نطاق واسع. من بين البصمات الثقافية الأكثر شهرة التي تركها الحرير على أسماء الأماكن الصينية القديمة طريق الحرير وجينتشنغ.

يحمل هيكل الحرف "锦" (جين) بحد ذاته دلالة جميلة. في الصين القديمة، كانت الغالبية العظمى من أسماء الأقمشة الحريرية المختلفة تحتوي على الجذر "糸" (مي)، مما يشير إلى علاقة وثيقة بدود القز. تشمل الأمثلة: 绣 (شيو)، و 纨 (وان)، و 绢 (جوان)، و 绸 (تشو)، و 绨 (تي). ومع ذلك، فإن الحرف "锦" في "جينتشنغ" فريد من نوعه؛ فهو مزيج من الحرف "金" (جين) بمعنى ذهب، و" 帛" (بو) بمعنى حرير. لماذا ابتكر القدماء هذا الحرف؟ يشرح ليو شي من عهد أسرة هان الشرقية، في كتابه "شيمينغ": "锦 (جين) يعني الذهب؛ إنتاجه يتطلب جهدًا كبيرًا، وسعره مثل الذهب، ومن هنا تم إنشاء الحرفين '帛' (بو) و'金' (جين)."

هذا يعني أن البروكار، وهو نوع من الأقمشة الحريرية، كان ثمينًا مثل الذهب لأن العمل المطلوب لنسجه كان شاقًا للغاية، مما جعله باهظ الثمن مثل الذهب. لذلك، عند إنشاء حرف البروكار، تم دمج حرفي "حرير" (帛) و"ذهب" (金) لتشكيل الحرف "锦" (بروكار). قدم ليو شي، عالم اللغة في أواخر عهد أسرة هان الشرقية،

هذا التفسير. عاش خلال الفترة الانتقالية من الممالك الثلاث، وعمل كمدرس لشو تسي، أحد مسؤولي شو هان، وناقش أيضًا العلوم مع تشنغ بينغ، أحد مسؤولي سون وو. لذلك، فإن تفسيره قيم للغاية لفهم اسم "جينتشنغ" (مدينة البروكار).**

صورة مقدمة من متحف معبد ووهو في تشنغدو

فلماذا كان صنع البروكار شاقًا جدًا؟ البروكار هو نسيج حريري يُنسج بخيوط السدى واللحمة الملونة على النول، على عكس التطريز الذي يستخدم الإبرة والخيط. على النول البدائي آنذاك، كان نسج الأنماط المعقدة بطيئًا ومستهلكًا للوقت. ثانيًا، تطلب بروكار شو خطوة معالجة إضافية: بعد نسج الأنماط، كان لا بد من شطف المنتج نصف النهائي في نهر قريب قبل تجفيفه للحصول على مظهره اللامع والمشرق. هذا أضاف جهدًا كبيرًا. وفقًا لـ"إي تشو جي" لتشياو تشو و"هويانغ غو تشي" لتشانغ تشو، كان بروكار شو المنتج في مدينة جين غوان لا بد من شطفه في النهر القريب من المدينة لتحقيق التأثير المطلوب؛ فشطفه في أنهار أخرى لن يعطي النتيجة المرجوة. كان تشياو تشو عالمًا مشهورًا من شو هان. عاش تشانغ تشو خلال عهد أسرة جين الشرقية، وهي ليست بعيدة عن فترة الممالك الثلاث. كانت بلدته الأصلية هي مقاطعة جيانغيوان في قيادة شو، وهي الآن مدينة تشونغتشو الخاضعة لولاية تشنغدو، وقريبة جغرافيًا من تشنغدو (المعروفة أيضًا باسم جينجيانغ). لذلك، كان كلاهما على دراية كبيرة بحالة الإنتاج في تشنغدو، مما يجعل سجلاتهما موثوقة للغاية. النهر الذي بجانب تشنغدو الذي ذكراه هو نهر تشووجين، الذي عُرف لاحقًا باسم نهر جينجيانغ. تنبع مياه ينابيعه من نهر مينجيانغ، حيث يوجد نظام دوجيانغيان للري، وبالتالي فإن بروكار شو له علاقة وثيقة جدًا بدوجيانغيان.

وبسبب أن مدينة "جينتشنغ" فريدة وجميلة، بدأ هذا الاسم ينتشر في المجتمع منذ عهد أسرة تشي الشمالية منذ ألف عام، بعد وقت قصير من وفاة تشوغه ليانغ. على سبيل المثال، كتب يو شين، الكاتب الكبير في أسرة تشو الشمالية، الأبيات: "تظهر جينتشنغ في الأفق، أعود وأفكر في هذه اللحظة." من عهد أسرة تانغ فصاعدًا، ظهر "جينتشنغ" بشكل متكرر في القصائد والنثر الشهيرة. على سبيل المثال، كتب لي باي: "الشمس تشرق على رأس جينتشنغ، ضوء الصباح ينتشر على برج الزهور"، و"نهر جين يتدفق شرقًا حول جينتشنغ، جسر شينغكياو معلق شمالًا مثل نجم في السماء"؛ كتب دو فو: "موسيقى جينتشنغ في أوجها كل يوم، نصفها يدخل في نهر النسيم ونصفها في السحاب"، و"أذكر أمس الطريق المتعرج شرق جينتشنغ، حيث

كان الإمبراطور الراحل وتشوغه ليانغ في نفس القصر"؛ كتب باي جويي: "طريق البلاد يؤدي إلى الطريق الخشبي المغطى بالسحاب، بوابة الضواحي قريبة من جينتشنغ"؛ كتب لو يو: "لقد ذهبت إلى جينتشنغ أربع مرات وأنا أتقدم في السن، لم أعد أستطيع تحمل العودة إلى مشهد الشباب"، و"أخشى أن تكون رحلاتي الترفيهية أقل من الآن، لأن عربات وخيول جينتشنغ مليئة بالغبار الأحمر"، وغير ذلك.

وبسبب أن مدينة "جينتشنغ" فريدة وجميلة، على مر السنين، عندما استقبلت ضيوفًا من الأوساط الأكاديمية في الولايات المتحدة وكندا وألمانيا والسويد وكوريا الجنوبية وعرفتهم على الأصول الثقافية لمدينة "جينتشنغ"، كانوا جميعًا مليئين بالثناء.

(نُشر في الأصل في "النظر إلى التاريخ" العدد 1، 2023)